الباب الثالث

مزاعم المستشرقين وأتباعهم
في عدم اهتمام المحدثين بنقد المتن ودحضها

الفصل الأول: مزاعم المستشرقين والرد عليها

وفيه مباحث:

توطئة

نشأة الاستشراق وتدرجه

الاستشراق في خدمة التبشير والاستعمار

أهداف الاستشراق

١ ـ الهدف الديني التبشيري

٢ ـ الحقد ضد الإسلام

٣ ـ المحاربة للشريعة الإسلامية

٤ ـ الحقد ضد القرآن

٥ ـ التشويه لصورة السنّة النبوية

٦ ـ تحريف السيرة النبوية

٧ ـ تحريف التاريخ الإسلامي

من هم المستشرقون؟

مؤلفات المستشرقين المليئة بالأحقاد

سطحية الدراسات الاستشراقية

موقف المستشرقين من السنّة

استفادتهم من المعتزلة في آرائهم حول السنة

اعتمادهم على الضعيف الشاذ

اعتمادهم على المنهج المعكوس

استنادهم في نقد الحديث إلى الروايات في كتب السيرة والفقه

اتهامهم الصحابة والمحدثين بوضع الأحاديث

إدعائهم بأن الموضوعات اختلطت بالصحاح

❄❄❄❄❄❄

❄❄❄❄

المستشرقون

توطئة

قبل أن أبدا الكلام في الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الحديث النبوي عامة، وحول نقد المتن خاصة، أرى من الضرورة أن تكون لنا نظرات في مفهوم الاستشراق ونشأته. ومن هم المستشرقون وماهي أهدافهم، وما هي أفكارهم الأساسية عن الإسلام ومبادئه ورسوله ﷺ وما مدى الضغائن والأحقاد التي كانوا يحملونها ولا يزالون، في قلوبهم نحو كل ما هو إسلامي.

لأنه لا يمكن لنا أن نفهم الشبهات على حقيقتها إلا إذا عرفنا هذه الأشياء، فإن الحقيقة التي انكشفت لي بعد دراسة كل ما يتعلق بالاستشراق أن كثيرا من الشبه التي يثيرها المستشرقون تتبخر وتنمحي بدون جهد علمي في الرد عليها، عندما يعرف المسلم الصادق في دينه، حقائق هؤلاء المستشرقين وأهدافهم الخبيثة، وأنهم أعداء حاقدون، خطف نور الإسلام أبصارهم وامتلأت قلوبهم بغضا وحسدا، فجاؤا إلى دراسته مبيتين الحقد والضغينة لنبيه، والشر لكتابه وسنن نبيه، لأنه من المفاهيم البدهية، أن العدو لا يأتي منه إلا العداء وأن الشرير لا يقدم إلا الشر، وأن اليهودي البغيض الحاقد على الإسلام لا يرتجي منه إلا الظلم والحيف[1].

---

(١) انظر لزاما «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» والاستشراق المستشرقون للداعية الكبير الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. فقد كان له الفضل الكبير بعد الله في كشف حقائق الاستشراق ونوايا المستشرقين. وقد أصبح الفصل الخاص بالرد على مزاعم جولد زيهر في كتابه «السنة ومكانتها» مرجعا لكل من أراد بعده رحمه الله أن يرد على جولد زيهر وأتباعه كما أن كتابه «الاستشراق والمستشرقون» رغم صغر حجمه، لا مناص من الرجوع إليه لكل من يريد أن يعرف ما يُحبك الآن من المؤامرات ضد الإسلام في الجامعات الأوروبية باسم الدرسات الشرقية.

ولهذا كله رأيت أن اللبنة الأولى للرد على شبهاتهم هي كشف حقيقتهم وبيان أهدافهم وتجلية سوء نيتهم المبطن، حتى لا أضطر إلى كثير من التعليلات غير الضرورية في الرد عليهم، بل يكفيني العلم بحقيقتهم للقول في كثير من المواضع الواضحة أنها دسائس يهودية أو مسيحية تبشيرية.

فأقول، وبالله التوفيق:

الاستشراق:

هو (بالمفهوم العام) دراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية، من حيث لغتها وآدابها وعلومها ومعتقداتها وعادات أهلها وتقاليدهم، وإذا كان له اتصال بالإسلام وعلومه فهو محاولة فكرية (ضالّة) لفهم الإسلام، عقيدة وحضارة وتراثا، لإنكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة والتنديد والاستخفاف بها[١].

هذا هو الاستشراق على حقيقته، إذا كان متصلا بالإسلام ونبيه وهديه وعلومه. وعبثا حاول المستشرق ميكائيل انجلو جويدي أن يعرف الاستشراق ويصفه بأنه جهود علمية مطلقة مع كل ما للعلم الحديث من مقتضيات وموجبات وروح طلقة وأنه جهود نقدية محللة ناخلة، مغربلة تتجلى فيها روح النقد العلمي المقارن دون مراعاة أو محاباة لأي عامل من عوامل الأثرة والغرض[٢] لأن الواقع أن الاستشراق يتنكر عند بحثه في الإسلام لهذا المنهج. فتعمل المحاباة العاطفية فعلها، بصورة تكاد تكون دائمة وثابتة. فيضطرب البحث ويختل ويحيد عن الصواب[٣]. وأعمال المستشرقين عموما، أقوى دليل على هذا، فإنها لا تتسم

---

(١) المبشرون والمستشرقون في موقفهم عن الإسلام. للدكتور محمد البهي صـ١ من منشورات الجامع الأزهر، مطبعة الأزهر.

(٢) مصادر الدراسية الأدبية. يوسف أسعد داغر ٢/ ٧٧١.

(٣) الطريق إلى مكة لمحمد أسد ٢٠٩ الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٦م.

بالصفاء والموازنة والروح العلمية المنصفة. والمباحث القادمة خير كفيل لإبراز هذه الحقائق.

نشأة الاستشراق وتدرجه:

يقولون: إن الاستشراق عملية قديمة، بدأت منذ عدة قرون، من قوم متعصبين للنصرانية واليهودية أشد التعصب، أرادوا أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العربية.

فيرى الشيخ أحمد محمد جمال: أنه بدأ في القرن العاشر الميلادي[١] ويرى الدكتور عبدالجليل شلبي: أنه بدأ في أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين (١٠٩٧ ـ ١٢٩٥ م)[٢].

ويرى الدكتور السباعي رحمه الله: أنه بدأ في إبان عظمة الأندلس ومجدها حيث قصد بعض الرهبان الأندلس وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم[٣].

ويقول على محمد جريشة وزميله: إن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين[٤].

ثم أسست المعاهد للدراسات العربية وترجمت الكتب العربية إلى اللاتينية فلما وصل القرن السادس عشر إلى النهاية، الذي هو قرن الإصلاح الديني في الغرب بدأ اتصال الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي اتصالا اقتصاديا في صُوره العديدة، وأخذ الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته

---

(١) مفتريات على الإسلام له صـ١٠، الطبعة الثالثة، مطبوعات الشعب القاهرة ١٣٩٥هـ.

(٢) صور استشراقية له صـ٢٥ وما بعدها نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩هـ.

(٣) الاستشراق والمستشرقون صـ١٥، الطبعة الأولى.

(٤) أساليب الغزو الفكري لهما صـ١٨ نشر دار الاعتصام بالقاهرة.

وموارد الثروة فيه، فرأوا من أسباب استقرارهم أن يعملوا من أجل تخلف المسلمين بشتى الوسائل وأن يشككوا في دينهم وعقيدتهم، لينفسوا عن أحقادهم الصليبية، بعد أن فشلوا في حروبهم المتوالية على العالم الإسلامي.

فهم قبل كل شيء اتجهوا إلى القرآن الكريم وهاجموا عليه، وقالوا عنه: إنه ليس إلا مجموعة من ترهات محمد ﷺ وشيء قليل مما استفاده من التوراة والإنجيل. قال جلادستون وهو يخطب: إننا لن نستطيع الاستقرار في الشرق ما دام فيه هذا الكتاب (يعني القرآن الكريم)[١].

وجاوا بأكاذيب، ليس بعدها كذب، عن الرسول ﷺ وأصحابه، وعن الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي كله.

يقول المستشرق الألماني رودي بارت (سنة ١١٤٣ م) إن الهدف من الكتابات الاستشراقية كان إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي[٢].

وقد أيَّد الحقيقة المذكورة المستشرق الانجليزي مونتجمري وات عندما قال: إن المفكرين الأوربيين عمدوا إلى تشويه حقائق الإسلام، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفرة[٣].

وتحت شعار هذه الدراسات الاستشراقية الخبيثة وما ادعوه من منهجية علمية كاذبة أرادوا إصابة مقاتل هذه الأمم الإسلامية.

ولإشباع رغبتهم الجامحة في النيل من الإسلام أنشأوا كرسيين للغة العربية في جامعتي اكسفورد وكمبرج، حتى يدربوا الأشخاص على تحقيق أغراضهم

---

(١) جلادستون، زعيم الأحرار البريطاني ومن مشاهير الخطباء في القرن التاسع عشر وكان من ألد أعداء الخلافة الإسلامية (انظر الغزو الفكري صـ٣٦).

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية للمستشرق المذكور صـ١١ نقله إلى العربية: مصطفى ماهر. نشر دار الكتاب العربي.

(٣) محاضرة ألقاها المذكور في جامعة الكويت عام ١٩٧١م.

من تشويه حقائق الإسلام وتنفير الناس من منابعه.

وفي القرن التاسع عشر جاء تطور كبير في الدرسات الاستشراقية وازداد عدد المعتنين بالعلوم الشرقية وأنشئت كراسي جديدة في كثير من الجامعات الأوربية. كما أن المستشرقين أخذوا في إصدار مجلات متخصصة في شئون الشرق وديانـاته وعلومه وبالأخص فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

والذي زاد الطين بلة أن المستشرقين تسللوا إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية، بل إلى المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد. ومن الذين شغلوا عضوية المجامع العلمية، هاملتون جيب، ومرجيليوث ونيكولسون من الإنجليز وما سينيون وجي سو من فرنسا وحبر يغني وجويدي من إيطاليا، وهوت مان الهولندي، وهارت مان الألماني[1].

وبالإضافة إلى هذا أقام الإحتلال الغربي كليات دفع إليها بمستشرقيه وصنائعه والمفتونين بأفكار الغرب ليناقشوا أخطر قضايا الإسلام تحت شعار العلم وحرية الفكر وجِدّية المناهج[2].

وقد جاءت الصهيونية إلى ميدان الاستشراق لتبث السموم ضد الإسلام في كتاباتها. ومن أشهر المستشرقين اليهود: جولد زيهر ويوسف شاخت ويندلي جوزي ويوري إيفانوف وغيرهم.

الاستشراق في خدمة التبشير والاستعمار

إن انتشار الإسلام بسرعة، ودخول كثير من النصارى في دين الله جعل رجال الكنيستين الشرقية والغربية في ذهول وجنون. ولم يجدوا سبيلا لإيقاف هذا السيل الإسلامي الجارف فلجأوا إلى محاولات دنيئة لتشويه صورة الإسلام وإلصاق التهم الباطلة به وبنبيِّه وبكتابه وسنته.

---

(١) الاستشراق والتبشير صـ٦١ ـ ٦٢ لإبراهيم خليل.

(٢) الغزو الفكري للدكتور عبد الستار فتح الله صـ٩٠، ٩١.

فترجموا القرآن الكريم وحرفوا معانيه وغيروا تعاليمه وألفوا كتبا في سيرة النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة والأمويين والعباسيين، ليفتحوا عهدا جديدا للغزو الفكري الموجه ضد الإسلام.

وبذلك نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير. وقرر الفاتيكان تعليم اللغة العربية بجانب اللغة اليونانية والدراسات الشرقية في مدارس أسبانيا ومدارس الأديرة والكاتدرائيات[١].

وهكذا، الاستعمار استخدم الاستشراق بكل معنى الكلمة. فكلما قوى في دولة، أحسن إلى المستشرقين الموجودين فيها، ورحَّب بهم أمناء أسرار ومترجمين وانتدبهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية. وولاهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية[٢].

ومن الثابت أن كثيرا من المستشرقين عُيِّنوا خبراء ومستشارين في وزارات الخارجية ببلادهم مثل جولد زيهر وماسينيون وغيرهما[٣].

والمستشرقون خدموا الاستعمار والتبشير خدمة عظيمة بواسطة المؤتمرات التي كانوا يتخذون فيها العديد من القرارات والتوصيات[٤].

وهم الذين عقدوا مؤتمراً عالمياً للكنائس في جاكرتا بأندونيسيا سنة ١٩٧٥ حلَّ خلاله ثلاثة آلاف مبشر ضيوفا على بيوت المسلمين هناك.

---

(١) المستشرقون جـ١ صـ١١٤ ـ١١٦ (نجيب العقيقي) والكاتيدرائية: هي الكنيسة الكبيرة (CATHEDRAL).

(٢) المستشرقون جـ٣ صـ١١٤٩.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ صـ٥٦١.

(٤) انظر الغارة على العالم الإسلامي صـ٤٩، ١٠١، ١٤١ وأساليب الإستعمار/ ٣٢.

أهداف الاستشراق

كثير من المسلمين ممن يشغلون بالدراسات والتحقيق في مجال الثقافة الإسلامية أو التاريخ الإسلامي، يرون أن المستشرقين قد أسدوا إلى المسلمين معروفا، وأثروا المكتبة الإسلامية بدراساتهم الأكاديمية، ولكنهم يغفلون أو يجهلون أن المستشرقين لم يفعلوا ذلك بدافع علمي محض ولكنهم بحثوا ـ على طول الخط ـ عن مواطن ضعف أو مواقع نقص، وتظاهروا بالإخلاص والسهر على البحث والدراسة ليكون ذلك هو اللون السائد على جميع أعمالهم، بيد أن الواقع يكذب ذلك، اللهم إلا من تناوله العطف الإلهي خلال عمله الاستشراقي واهتدى إلى نور الإسلام فلم يدّس ولم يحرف ولكنهم قليلون.

ولأجل هذا نجد طائفة كبيرة من المستشرقين شانهم عند الكتابة عن الإسلام شأن من لا يرى في مدينة ذات بهجة ونضارة، ونظام ونظافة إلا مزابل ومراحيض ومستنقعات، كما هو دأب مفتش الأوساخ والمياه المصروفة في البلديات وأمانات العواصم فيرفع بذلك تقرير إلى الجهات المختصة. لا يجد فيها القارىء ـ بطبيعة الحال ـ إلا الحديث عن العفوفات والأوساخ[1].

فالهدف الأساسي من الدارسات الإسلامية التي يقومون بها لم يكن إلا طعن في الإسلام والحط من مكانته وتشويه صورته الحقيقة حتى لا يتأثر به المجتمع الأوروبي المسيحي الذي كانوا خائفين عليه من الدخول في الإسلام.

وفيما يلي أحاول أن أذكر بعض أهدافهم الرئسية. لنرى جميعا كيف أنهم لم يقصدوا إلا الشر للإسلام وأهله. ليسهل علينا الحكم فيما بعد على آرائهم حول السنَّة إن شاء الله.

---

(١) الإسلام والمستشرقون لأبي الحسن الندوي، مجلة البعث الإسلامي صـ١٣، ١٤.

١ ـ الهدف الديني التبشيري:

لم يكن هَمُّ المستشرقين إلا الطعن في الإسلام وتشويه محاسنة وتحريف حقائقه، ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الإنتشار، ثم تطور هذا الهدف فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.

فأصبح المستشرقون يمارسون الاستشراق بروح العداء للإسلام وتعاليمه ونبيه ﷺ. وأخذوا يصورون الإسلام بأنه دين جامد لا يصلح لعصر التطور[١].

٢ ـ الحقد ضد الإسلام:

ومن أخطر جنايات الاستشراق ودعاياته الكاذبة ضد الإسلام: تصويره بصورة الدين الوثني المتخلف المنحرف ومقته البالغ للإسلام والمسلمين كأنه من المسلمات البديهية، بلا فهم ولا تمييز.

ولقد كانت جنايته على قيم هذه الأمة ومُثُلها أفدح من جنايته على الأموال والثروات[٢].

٣ ـ المحاربة للشريعة الإسلامية:

ومن أخطر ما ارتكبه الاستشراق من الجرائم في حق الإسلام أنه ألقى في روع كثير من المنتسبين إلى الإسلام ومثقفيهم بالثقافات الغربية أنّ الإسلام دينٌ مثلُ دين أوربا، وربطوا في أذهانهم تخلف المسلمين المادي بالإسلام وهذا

---

(١) راجع المستشرقون لعلي حسني الخربوطلي صـ٨٣ والتبشير والاستعمار لعمر فروخ / ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الغزو الفكري للدكتور عبدالستار فتح الله صـ٢٦ ـ ٢٧.

عكس الواقع ونقيض الحقيقة على طول الخط.

وقد انعكس هذا كله على تصرف هؤلاء المثقفين نحو دينهم العظيم، إذ أرادوا أن يستبدلوا بالإسلام القوانين الوضعية التي لا خير فيها للأمة الإسلامية[١].

٤ ـ الحقد ضد القرآن:

عندما نراجع ما كتبه الاستشراق عامة، نجد أن هناك إجماعا على الوقوف في وجه القرآن وانكار كونه من الله تعالى، والقول بأنه من عمل محمد ﷺ، تعصبًا ضد القرآن والنبي الذي أنزل عليه.

فيردد جولد زيهر اليهودي وبلا شير في كتابه (معضلة محمد) وغيرهما أن القرآن ليس من عند الله، ويشيرون إلى رحلات النبي ﷺ إلى الشام وغيرها. كما أنهم يدّعون أن القرآن حُرِّف بعد وفاة النبي ﷺ. وأن حالات الوحي التي كان يجهد فيها النبي ﷺ لم تكن إلا نوبات من الصرع، وأن الحروف المفردة في أوائل بعض سور القرآن إنما هي اختصارات لأسماء مالكي النسخ التي استخدمها زيد ابن ثابت لجمع القرآن في مصحف واحد. وهكذا، إذا راجع الإنسان المسلم ما كتبه المستشرقون عن القرآن لوجد أنه مجموعات لأقاويل وأكاذيب رموها في وجه الإسلام بدون دليل أو برهان، وأنهم لم يفهموا القرآن ولم يجيدوا اللغة العربية وأدابها وقواعدها إلا نزر يسير منهم، وهم أيضا أساؤا إليه بالأغاليط والأكاذيب سدا للبشرية من الهدى الذي يحتوي عليه[٢].

٥ ـ التشويه لصورة السنة النبوية:

يعتبر جولد زيهر رأس الحية بالنسبة لإثارة الشبه حول السنة بواسطة كتابه

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر جـ١ صـ٢٥٩ والغزو الفكري صـ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) انظر المستشرقون والقرآن الكريم، أنور الجندي صـ٧٤ ـ ٩١ من مجلة البعث الإسلامي العدد الخاص عن الاستشراق رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(دراسات إسلامية) الذي ألفه باللغة الألمانية.

ثم جاء بعده « شاخت » الذي استفاد من جولد زيهر وبسط قوله وشرح أفكاره في كتاباته. وسيأتي بيان ما كان عليه من الحقد ضد الإسلام وكيف أنهما تركا المصادر الأصلية للأحاديث النبوية والتجاءا إلى كتاب الأغاني وكتاب الحيوان للدميري وكُتب القَصص ليجعلاها مصادر لدراسة الحديث النبوي. وهل يرجى من اليهود إلا مثل هذا.

ثم تبعهما مستشرقون آخرون. وكانت شبهتهم تتنوع حسب هواهم فحينا طعنوا في حجية السنة، وحينا آخر ادعوا تأخر كتابة الأحاديث إلى قرن أو أكثر.

ومنهم من أثار الشك في الأسانيد وقيمتها العلمية. ومنهم من قال: إنّ المحدثين لم يعنوا إلا بالأسانيد فقط ولم ينظروا إلى المتن. وشبه كثيرة أخرى سيأتي بيانها ودحضها إن شاء الله في مكانها.

والمهم هنا البيان أنهم لم يكن غرضهم العلم والمعرفة وإنما كان هدفهم إثارة البلبة الفكرية في أذهان المسلمين بأكاذيب مختلفة وأقوال مثل أقوال البليد الذي يرمي القول على عواهنه من دون أن يفكر في الدليل أو البرهان[1].

تحريف السيرة النبوية:

لقد كانت شخصية الرسول ﷺ محورا لأبشع المسبات والشتائم عند المستشرقين، زعموا أن الرسول الله ﷺ التقى ببحيرا الراهب وتلقى عنه التعاليم الدينية مدة من الزمن. وتعرضوا لتعدد الزوجات كي ينفذوا منه إلى الطعن في شخصية الرسول ﷺ والتشكيك في رسالته الخالدة، وتصويره بصورة الميل إلى إشباع الرغبة الجنسية، مع أن الرسول ﷺ لم يعدد زوجاته إلا بعد الأربعين

(١) الستة في مواجهة الأباطيل / ٣٨، ٣٩.

لغايات تتعلق بالدعوة الإسلامية[١].

٧ ـ تحريف التاريخ الإسلامي:

لا يعرف حد لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله. وهم كذلك يجتهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي أداه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية[٢] فالواقع أن المستشرقين لبثوا قرونا يدققون ويمحصون مزاعمهم عن الإسلام حتى يهدموا ما بناه جمهور علماء المسلمين.

من هم المستشرقون؟

تبين مما مضى أن المستشرقين: هم طوائف وأصناف من دول وأجناس مختلفة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية من علوم وآداب خاصة بالعالم العربي والإسلامي والصين والفرس والهند.

لكن غلب إطلاق هذا اللفظ على المسيحين واليهود الذين أرادوا أن يتثقفوا في الدراسات الإسلامية واللغة العربية.

وهم أغلبهم متعصبون للغرب وديانته وحضارته وأعداء مغرضون للإسلام ونبيّه. ومنهم من تعصب للغرب وديانته ووطنيته وجنسه دون أدنى تحفظ، وزعم أن العرب ليس لهم أدنى فضل على الحضارة الإنسانية.

والمبشرون منهم خاصة تعمدوا إلى تشويه الإسلام وإظهار المسلمين على الصورة التي تُذكي عند المتعصبين الجهلاء في البلاد الأوربية والأمريكية جذوة التعصب. ويرى الدكتور حسين مؤنس أن أشد المستشرقين تعصبا ضد

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية، أنور الجندي صـ٩٧ وما بعدها من مجلة البعث الإسلامي، العدد الخاص عن الاستشراق.

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة للشيخ محمد الغزالي صـ١٣ ـ ١٤.

الإسلام ورسوله هم الفرنسيون. فهو يقول:

إنه من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئا طيبا عن حياة الرسول ﷺ. لأنه حتى لو وجد شيئا طيبا، فإن لسانه لا يطيعه في كتابته. ولو قاله، فإنه يتحفظ في قوله تحفظا بالغا، حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار. ويرى أن الاستشراق والاستعمار والتبشير أشبه بالحلقات الثلاث المتداخلة التي يتخذها التعاون شارةً له دلالةً على قوة التماسك[١].

أما المستشرقون اليهود فقد كانوا من أبرعهم في الهجوم على الإسلام والمكر له، وذلك بأنهم استعملوا أسلوبا أشد مكرا وأسوأ سبيلا، وهو محاولة الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدعوا القارىء، ويكسبوا ثقته، ثم لا يلبثوا بعد ذلك أن يثيروا شبهات خفية متتالية في إطار هذا التقدير العام الكاذب[٢].

وهم من أخطر المغرضين جميعا، لما ملكوه من وسائل الدعاية التي قد لاتتهيأ لغيرهم من فئات المستشرقين، فهم يلجأون إلى الدعاية المقنعة غير المباشرة والحملات التي يشنونها في أرجاء العالم بأسماء غيرهم هي في الواقع سلاحهم الذي يعولون عليه. لأن جمهور القراء يصغون إليها ولا يتهمون قائليها في أكثر الأحيان. وقد عرف الصهاينة في عصرنا الحاضر مواطن القوة التي تسخرها الدعاية فاستولوا على الكثير من أدواتها وبرعوا في تسخيرها وإخفاء مراميها[٣].

وهذا يعني أبدا أننا ننكر وجود قلة من هؤلاء المستشرقين الذين راحوا يبحثون عن الحقيقة، وهدتهم أبحاثهم الموضوعية إلى التعرف على مبادىء الدين الإسلامي المثالية والاعتراف بما للحضارة الإسلامية من فضل على

---

(١) انظر كتاب: الإسلام والثقافة العربية للأستاذ أنور الجندي صـ١٠٦.

(٢) أضواء على الاستشراق صـ٩ ـ ٥٢.

(٣) الرسول في كتابات المستشرقين/ صـ١٣، ١٤.

الإنسانية. ومن هؤلاء من اعتنق الإسلام وأخلص له.

وفي السطور الآتية سوف أتعرض لذكر عدد من المستشرقين البارزين الذين كان لهم دور كبير في الدس والحقد على الإسلام والمسلمين. لنعرف جميعا نماذج من هؤلاء المستشرقين الذين استهدفوا الرسول وسننه. وهذا كله للوصول إلى الهدف الذي ذكرته سابقا، ألا وهو التسهيل على القارىء في فهم الشبهات التي أثاروها ضد السنن النبوية، لأن المعروف بين المثقفين في العالم كله أن معرفة حقيقة الكاتب وخلفياته تساعد كثيرا على فهم ما يذكر من الآراء في كتاباته.

١ ـ جولدزيهر: GOLDZIHER

يهودي من مجر. ولد سنة ١٨٥٠م وهلك في سنة ١٩٢١م. درس في مدارس اللغات الشرقية ببرلين وليبزج وليدن وفيينا ولودابست ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣م وتتلمذ على العلامة الشيخ طاهر الجزائري، ثم نزح إلى مصر حيث تضلع في العربية على شيوخ الأزهر.

اتجه إلى الإنتاج العلمي في ميدان الاستشراق، وأصبح واسع الإطلاع وكثير الإنتاج. وقد مكنه ذلك من الدس على الإسلام في كتاباته. وقد عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه.

قال الشيخ محمد الغزالي: إنه قرأ كثيراً من الأصول والمصنفات الإسلامية لكنه، منذ قرأ وكتب، لم يحمل بين جنبيه إلا فؤاد مترعا بتكذيب الإسلام فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلا على أن محمداﷺ كاذب وقرآنه مفتعل وسنته مختلقة، والإسلام كله منذ جاء إلى أن بلغنا مجموعة مفتريات.

وقد ألَّف كتابا عن (الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم) ثم دراسات إسلامية في جزئين وقد أصبح هذا الكتاب في دائرة الاستشراق إنجيلا مقدسا. كما ألَّف كتابه (محاضرات في الإسلام) الذي نقله إلى العربية الدكتور محمد يوسف

موسى والأستاذ عبدالعزيز عبدالحق. وقد أفرغ فيه كل ما كان في أحشائه من ضغائن وأحقاد ضد الإسلام. ومن كتبه (مذاهب المسلمين في تفسير القرآن) وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية[١].

٢ ـ جوزيف شاخت JOSEPH SCHACHT

من المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين. ولد سنة ١٩٠٢م. وتخرج في جامعتي برتسيلاّ وويسبيك. عُيِّن محاضر للدراسات الإسلامية في جامعة اكسفورد سنة ١٩٤٨م، وأستاذا بجامعة الجزائر سنة ١٩٥٢م وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات ونواد علمية كثيرة. منها المجمع العلمي العربي بدمشق. وله كتب كثيرة عن الإسلام، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الإجتماعية، وهو الذي حمل في العصر الحاضر رسالة جولد زيهر في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه. وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي، كُلُّه دس وتحريف على أسلوب شيخه جولد زيهر، وهو كتابه: أصول التشريع المحمدي (THE ORIGINS OF MOHAMMADAN JURISPRUDENCE) زعم فيه أنه لا يوجد حديث واحد صحيح، وخاصة من الأحاديث الفقيهة. وفاق شاخت سلفه جولد زيهر، إذ جعل من نظرة زيهر التشكيكية نظرة متيقنة في عدم صحة الأحاديث، وأصبح لكتابه أثر عميق في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية في الغرب[٢].

---

(١) راجع الدراسات للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص/ي ودفاع عن العقيدة والشريعة صـ٥، ١٠ وبعدها. والاستشراق والمستشرقون صـ٣٣، ٥٧. وأضواء على الاستشراق صـ١١٢ ـ ١١٦.

(٢) انظر مقدمة الخولي على أصول الفقة لشاخت صـ١١ ودراسات للدكتور الأعظمي ص/ث والاستشراق والمتشرقون للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله صـ٤٠، ٥٦.

٣ ـ مرجليوث١٨٥٨م ـ ١٩٤٠مD.S.MARGOLIOTH

يهودي من انجلترا متعصب ضد الإسلام، عُيّن أستاذ العربية بجامعة اكسفورد. وقد انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق. وله مؤلفات وبحوث وتحقيقات كثيرة.

ومن كتبه: التطورات المبكرة في الإسلام. ومحمد ومطلع الإسلام. والجامعة الإسلامية. وله مزاعم عجيبة ومضحكة ضد الرسول ﷺ والقرآن الكريم والحديث النبوي. من مزاعمه حول الحديث النبوي: أنه لم يدون إلا بعد تسعين سنة من وفاة الرسول ﷺ. وهو الذي يرى أن الآيات القرآنية التي تحكي مجيء إبراهيم إلى مكة واستيطان ذريته بجوار البيت بعدما بناه هو وابنه اسماعيل مفتعلة دعت إلى افتعالها رغبة الرسول في تأليف اليهود وإثبات صلة قرابة بينهم وبين العرب.

وقد رد عليه الشيخ محمد الغزالي رداً مفحما[1].

٤ ـ هاملتون جيب ١٨٩٥ ـ ١٩٦٥مH.A.D.GIBB

إنجليزي من مواليد الإسكندرية بمصر، وخليفة مرجليوث في جامعة اكسفورد وعضوا المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة.

ومن كبار محرري وناشري دائرة المعارف الإسلامية. له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة. وقد تحدث عن بنية الفكر الديني في الإسلام فقال: (إنما هي معظم ما كان لدى العرب في جاهليتهم من العقائد الغيبية والطقوس الشكلية النابعة من اعتقادهم في الأرواح. فقد تأمل محمد ﷺ فيها فغيَّر ما أمكنه تغييره. ثم عمد إلى الباقي الذي استعصى عليه التخلص منه، فألبسه حلة الدين الإسلامي،

---

(١) انظر كتابه: دفاع عن العقيدة والشريعة ص/ ٤٧ والمستشرقون جـ٢ صـ٥١٨ ـ ٥٢٠ وتاريخ تدوين الحديث بالأردية صـ٩٠.

ودعم هذه العقائد والرموز بهيكل من الأفكار والمواقف الدينية الملائمة. ولما كان محمد يريد أن يشمل دينه الشعوب الأخرى غير العربية أدخل ذلك كله ضمن منهج القرآن. كما أن تضخم كتلة الحديث كان نتيجة لقوة التيار الديني في القرون الأولى، حيث استمد محمد أكثر عناصر حديثه من التراث الديني المسيحي بل البوذي[١].

٥ ـ زويمر S.M.ZWEIMER

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام. رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين. أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام لجمع إرساليات التبشير البروتستانتية، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين. وقد عقد المؤتمر الأول في القاهرة في عام ١٩٠٦م. وهو الذي قدم خريطة باسم خريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر وألَّف كتاب (العالم الإسلامي اليوم) من أخطر كتب التبشير. وقد أسس (مجلة العالم الإسلامي) الإنجليزية. وتولى إدارتها.

وتقديرا لجهوده التبشرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين[٢].

هذه هي حالة معظم المستشرقين، فهم أعداء ألداء للإسلام وأهله بعضهم خدموا أهدافهم جهرا وعلنا والبعض الآخر من وراء الستار. وإن مدح أحدهم الإسلام في بعض أموره، أو أيَّد إحدى القضايا الإسلامية فهو تمهيد للإعماء، ليقول كلمته المسمومة ويلقيها في أذهان المسلمين من دون أن يشعروا بها.

---

(١) الاستشراق والمستشرقون صـ٣٣ وأضواء على الاستشراق صـ٩٨ وما بعدها مفتريات على الإسلام صـ٣٥.

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص/ ٣٤ والتبشير والاستشراق ص/ ١٤٨ ـ ١٥٠، ١٥٢ ـ ١٥٦ و١٦٢ ـ ١٨٤ و١٩٠ ـ ١٩٤.

فكايتاني الإيطالي وشبرنجر الانجليزي[١]. وفينسنك الألماني والفرد جيدم الإنجليزي وأربري الإنجليزي كلهم عُرفوا بعدائهم للإسلام.

والمستشرق يندلي جوزي، يهودي ماركسي. وبارون كارا دي فو، وهنري لامنس السيوعي فرنسيان شديدا التعصب ضد الإسلام ورسوله وكتابه.

وهكذا فيليب حتى اللبناني المسيحي ونيكولوسون الانجليزي. إذا نظرت إلى كتبهم تجدها مليئة بالحقد والضغينة والكره ضد الإسلام.

وهذا السير وليم مور يقول: إنّ السنة ليست إلا نتيجة المحادثات عن محمد، وأن المحدثين لم يُعنوا بنقد المتن[٢].

ويقول نيكولاس بي أجنائدس: إن المحدثين تجاهلوا تماما المحتوى[٣].

ويقول غليوم: إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالصحيحة حتى لم يمكن التمييز بينهما[٤].

فالعداء للإسلام طبيعتهم والكذب والبثت عادتهم. فهم يركزون كل جهودهم على كشف مواضع الضعف في تاريخ المسلمين ومجتمعهم ومدنيتهم ويختلقون الأكاذيب حول ديانتهم وشريعتهم.

مؤلفات المستشرقين المليئة بالأحقاد

والكتب التي ألفوها عن الإسلام أكبر شاهد على ضغائنهم ضد الإسلام. وأرى أن أذكر هنا أسماء بعض تلك الكتب المليئة بالأحقاد المشوهة لصورة الإسلام المضيئة حتى يطلع عليها من أراد أن يتأكد من صحة ما ذكرته حتى الآن.

---

(١) هو الذي يقول عن الوحي إن الحالات العصبية التي كانت تنتاب النبي ﷺ قد ورثها عن أمه (انظر دائرة المعارف جـ٢/ ٦٣٠ مادة آمنة).

(٢) راجع تاريخ الحديث صـ١٥٦ وما بعدها.

(٣) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية صـ٤٩، GLIMPSES.PP.49

(٤) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية، صـ٥٢.

١ ـ دائرة المعارف الإسلامية .
٢ ـ موجز دائرة المعارف الإسلامية .
٣ ـ دائرة معارف الدين والأخلاق .
٤ ـ دائرة معارف العلوم الإجتماعية .
٥ ـ دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) تأليف أرنولد توينبي .
٦ ـ حياة محمد ، تأليف سير وليم ميود .
٧ ـ الإسلام ، تأليف ألفرد جيوم .
٨ ـ الإسلام بالفرنسية تأليف هنري لامنس .
٩ ـ الإسلام (قسم العقيدة) تأليف زويمر .
١٠ ـ الدراسات الإسلامية .
١١ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام . تأليف جولد زيهر .
١٢ ـ مذاهب التفسير الإسلامي .
١٣ ـ عقيدة الإسلام تأليف فينسنك .
١٤ ـ التطورات المبكرة في الإسلام تأليف مرجليوث .
١٥ ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، تأليف هـ ، أ ، د ، جب .
١٦ ـ أصول التشريع المحمدي تأليف شاخت .
١٧ ـ كتب مونتجمرن وات في السيرة النبوية .
١٨ ـ تاريخ العرب والإسلام تأليف فيليب حتى .

سطحية الدراسات الإستشراقية

يقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق : إن هؤلاء الأساتذة (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلا ، وتوثبوا فيه توثيباً ومن تخرج فيه بشيء ، فإنما تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو

أدخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح، وفضل المفضول[١]. ويتأكد هذا إذا تعرفنا على أغلب المستشرقين الذين يرأسون الأقسام العربية في الجامعات الأوربية.

فالمستشرق (أندرسون) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي، في جامعة لندن، كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر، خلال الحرب العالية الثانية. وقد تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التي كان يلقيها بعض علماء الأزهر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ساعة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة. تخصص في دراسة الإسلام من المحاضرات العامة التي كان يلقيها أحمد أمين والدكتور طه حسين والشيخ أحمد إبراهيم.

وفي جامعة أكسفورد وجد الداعية الإسلامي الدكتور السباعي رحمه الله رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية يهوديا يتكلم العربية ببطء وصعوبة ولا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية.

وفي جامعة كمبرج تعود رئاسة قسم الدراسات العربية والإسلامية للمستشرق المعروف (أربري) واختصاصه في اللغة العربية فحسب.

وقد اعترف خلال حديثه مع السباعي رحمه الله: أننا نحن المستشرقون نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام. ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم ـ أنتم المسلمين العرب ـ أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث[٢].

وهذا هو حال معظم المستشرقين، لا يجيدون العربية ولا يدركون أسرارها. وإذا أجاد أحدهم اللغة فلا مساس له بالعلوم الشرعية وإنما مرجعه كتب المستشرقين

---

(١) الرسول في كتاب المستشرقون صـ١٦ نقلاً من ذيل الفارياق لأحمد فارس الشدياق.

(٢) راجع الاستشراق والمشتشرقون صـ٥٣ (مع المستشرقين وجها لوجه في أوربا).

ومقالاتهم المنشودة في الجرائد والمجلات.

وقد ثبت الدكتور فؤاد سزكين هذه الحقيقة عن رأس الحية جولد زيهر إذ قال: إن جولد زيهر لم يدرس كتب المصطلح ولم يُصب في فهم كثير من المواضع[1].

موقف المستشرقين من السنة:

لقد تأكد عند المستشرقين والمبشّرين: أن السنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وأنه لا يمكن الوصول إلى الأهداف الذميمة التي قصدوها إلا إذا هدم هذا المصدر، لأن أي مطعن في سنة الرسول ﷺ وسيرته طعن في الإسلام رأسا وهدم للكيان الإسلامي عقيدة وفكرا وعملا، ولذلك حاولوا قبل كل شيء أن يلقوا في الأذهان أن أعمال الرسول ﷺ وتوجيهاته وقيادته إنما كانت صالحة لفترة الجاهلية، وتلك المرحلة قد انتهت، وأتمت غرضها، وليس من الإصلاح الخلقي والإجتماعي والعقائدي أن تصحب توجيهات الرسول إلى العصر الحاضر، فشتان بين العصرين. ثم تدرجوا إلى الأمام وأرادوا أن يبحثوا عن مطاعن في الحديث النبوي، وحاولوا إقناع قرائهم أن الأحاديث متناقضة، وأن الحديث ازداد مع الزمن، وأن الجماعات الإسلامية وضعت أحاديث لتأييد آرائها وأفكارها، وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة المتناقضة أشد التناقض.

وقالوا أيضا: إن بعض الأحاديث أُخذ من الإنجيل والتوراة والقصص والخرافات. وما إلى ذلك من الشبه الكثيرة التي تنوعت بتنوع كتاباتهم وتعدد مؤلفاتهم. وما أكثر التهم التي وجهوها إلى الرسول وكتابه وسنّته وحياته ودينه. وفي الصفحات الآتية سوف أحصر حديثي في شبههم حول السنّة، وبالأخص عن الشبه التي أثاروها حول نقد المتن وزعمهم الباطل العاري من الصحة أن المحدثين لم يعنوا بنقد المتن.

---

(١) تاريخ التراث العربي جـ٢ صـ٨٩.

وفي الصفحات الأولى من هذا الباب ناقشت هذا الموضوع بكل تفصيل وأثبت بدلائل علمية أن المتن هو الذي كان محور نقد المحدثين، وأن السند والمتن جزءان لا يتجزءان من علوم الحديث ونقده وأن جميع العلوم الخاصة بنقد الحديث روعي فيها نقد المتن تماما كما روعي فيها نقد السند.

استفادتهم من المعتزلة في آرائهم حول السنة:

لقد عرف عن المعتزلة أنهم اعتبروا العقل رأس الأدلة. فقد قال القاضي عبدالجبار[١] في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية. إنّ أولها: العقل[٢] وقال إبراهيم النظام: وإنّ جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار[٣].

وقد ذكر ذات يوم حديث الرسول ﷺ أمام عمرو بن عبيد فقال لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته. ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا، لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا[٤].

فهم جعلوا العقل حكما لا ترد كلمته.

وقد جلب مسلكهم الممالىء للعقل على حساب القرآن والسنة عطف الكثير من المستشرقين، حتى أشادوا بمواقفهم الشنيعة من القرآن والسنة وأطلقوا عليهم إسم (المفكرين الأحرار في الإسلام) ودعاة الحرية الفكرية والاستنارة ووصفهم جولد زيهر بأنهم وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرا

---

(١) القاضي عبد الجبار المعتزلي: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أبو الحسن الأسد أبادي المعتزلي (٠٠ ـ ٤١٥هـ). قاضي أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره قال الرامهرمزي: كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، ومذاهب المعتزلة في الأصول.
ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٣ تاريخ بغداد ١١/ ١١٣.

(٢) فضل الاعتزال/ ١٣٩.

(٣) تأويل مختلف الحديث/ ٤٣.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٨.

مهما آخر، وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعدا بشدة عن هذه الناحية[١].

موقفهم من نقد المتن موقف المعتزلة منه:

وبالمقارنة بين الشبهات التي أثارها المستشرقون في كتبهم والشبهات الموجودة حول السنة في كتب المعتزلة وما كتب عنهم، يتبين تماما أن الفتنة بدأت من المعتزلة، وأن موقف المستشرقين من الصحابة ومن الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد وعدد كبير من الأحاديث النبوية، على أنها مناقضة للعقل، وأن المحدثين لم ينقدوها متنا، هو نفس موقف المعتزلة[٢].

وسيأتي في الصفحات الآتية بيان موقف المستشرقين من كثير من الأحاديث وتفنيد مزاعمهم، إن شاء الله، وعند ذلك يتبيَّن كيف أن تلك الشبه ليست إلا تكرار وإعادة لما قاله رووس المعتزلة.

اعتمادهم على الضعيف الشاذ:

لقد أخذ المستشرقون في كثير من الأحيان بالأخبار الضعيفة والواهية بل بالموضوعات لمؤازرة أفكارهم المتعصبة والحكم على الإسلام بأحكامهم الجائرة. واستعانوا بالشاذ والغريب وقدموه على المعروف المشهور. استعانوا بالشاذ، ولو كان متأخرا، أو كان من النوع الذي استغربه النقاد وأشاروا إلى نشوزه. تعمدوا ذلك، لأن هذا الشاذ هو الأداء الوحيد في إثارة الشك[٣].

نجد معظم المستشرقين ينقلون من الواقدي ليستدلوا به على مزاعمهم في

---

(١) موقف المعتزلة من السنة النبوية ٧٦ ـ ٧٧ والعقيدة والشريعة لجولدزيهر صـ٨٩ ـ ٩١.

(٢) راجع الفرق بين الفرق صـ١٤٣، ١٤٨، ١٤٩، ٣١٩، وميزان الإعتدال ٤/ ٣٢٩ والفرق بين الفرق ٢٢٨، ١٨٠ والإلماع صـ٧ والسنة ومكانتها في التشريع صـ٢٠٣ وتأويل مختلف صـ٢١ وموقف المعتزلة من السنة صـ٧٨ ـ ١٠١.

(٣) تاريخ العرب والإسلام لجواد علي ١/ ٨ ـ ١١.

نقد السن، متجاهلين تماما أن رواياته غير قابلة للاحتجاج بها عند المحدثين لكونه غير ثقة. يقول ابن خلكان ما معناه، أن الأحاديث المروية عن طريق الواقدي غير قابلة للاحتجاج بها. ويقول الشافعي ما معناه: إن كتب الواقدي مليئة بالأكاذيب.

وبروفيسور مرجليوت وغيره من المستشرقين يعرفون حكم المحدثين في الواقدي وكتبه. ولكنهن يأخذون أدلتهم من كتبه ليوجهوا النقد الكاذب إلى السنة النبوية[١]. وأصبح (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني من المراجع الأصلية لديهم ومن أكثر الكتب تأثيرا في الفكر التاريخي والدارسات الحديثية، مع أن أبا الفرج الأصفهاني معروف عند علماء الجرح والتعديل بأنه كذاب يأتي بالغرائب والعجائب بلفظ حدثنا وأخبرنا.

وهكذا كتاب (ألف ليلة وليلة) نال عناية المستشرقين، مع أن خطورة هذا الكتاب معروفة لدى علماء الإسلام الأمناء في تشويه تاريخنا الإسلامي[٢].

اعتمادهم على المنهج المعكوس:

لقد أشار الدكتو جواد علي إلى أن كيتاني، وهو من كبار المستشرقين الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول ﷺ، كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث. وهو أنه كان يُبيّت فكرة مسبقة، ثم يجيء إلى وقائع التاريخ لكي يستل منها ما يؤيِّد فكرته ويستبعد ما دون ذلك.

وهذا هو دأب معظم المستشرقين يبيتون فكرة ثم يستعينون بكل خبر يظفرون به، ضعيفا كان أو شاذا أو موضوعا، بل يقوون الضعيف ويعدونه حجة

---

(١) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية صـ٥٣ ـ ٥٤، GLIMPSES OF THE HADITH. PP.53-54

(٢) المستشرقون والتاريخ للدكتور عبد العظيم الديب، مجلة البعث الإسلامي صـ١٤٧ ـ ١٤٨.

ويبنون الحكم عليه[١].

ويعتبر المستشرق الفرنسي هنري لامنس مثلاً على الانحرافات المنهجية التي يمارسها كثير من المستشرقين.

يقول درمنغهم: من المؤسف حقا أن غالي بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال ميورو مرجليوث ونولدكه وشبرنجر ودوزي وكيتاني ومارسين وغليوم وجولد زيهر وغودفروا وغيرهم، وفي النقد أحيانا، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص. ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهي إليها المستشرقون سلبية ناقصة... ومن داعي الأسف أن كان الأب لامنس الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصبا، وأنه شوّه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام. فعند هذا العالم اليسوعي: أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر[٢].

استنادهم في نقد الحديث إلى الروايات في كتب السيرة والفقه:

من المعلوم عند علماء السنة أن هناك كتبا خاصة للأحاديث النبوية، اهتم مؤلفوها بجمعها وترتيبها حسب الشروط التي وضعوها لكتبهم. ومن أشهر تلك الكتب الصحاح الستة ومسند الإمام أحمد. وهم التزموا الشروط التي ذكروها في كتبهم.

وعلى هذا، فقد اكتسب كل من تلك الكتب المكانة التي كانت تستحقها من علماء المسلمين، فالبخاري أصح الكتب بعد كتاب الله ثم صحيح مسلم ثم الكتب الأخرى حسب درجاتها.

وهذه الكتب هي المصادر الأصلية لدراسة الأحاديث النبوية، مع العلم

---

(١) تاريخ العرب في الإسلام له/ ١/ ٩٥.

(٢) حياة محمد، المقدمة صـ٨، ١٠ ـ ١١.

بأن فيها ما لم يصل في الصحة إلى درجة عليا ومنها ما هو ضعيف شديد الضعف أو خفيفه وفي بعضها، مثل مسند الإمام أحمد ما وضعه العلماء في قائمة الموضوعات. وهذا كله معروف لدى المحدثين ومتداول بينهم علميا.

أما الكتب التي احتوت على الأقوال الفقهية أو الوقائع التاريخية، فإن مؤلفيها لم يكونوا محدثين، ولم يراعوا فيها شروط المحدثين لصحة الحديث كما أن الكتب التاريخية لا يهتم فيها مؤلفوها إلا بسرد الوقائع وترتيبها حسب الزمن دون أن ينظروا كثيرا إلى أسانيدهم ورواتها.

ولكن المستشرقين انتقوا موادهم لدراساتهم الحديثية من كتب السيرة النبوية والأقوال والروايات الموجودة في كتب التفسير والفقه.

فهذا روبسون يؤيّد لامنس في قوله: بأن الحديث والسيرة ليسا مصدرين متميزين[١] أعني أنه يميل إلى القول بأن كتب السيرة مصدر من مصادر الحديث النبوي.

والمستشرق شاخت، درس الأقوال الموجودة في موطأ الإمام مالك، وموطأ الإمام محمد الشيباني، وكتاب الأمّ للإمام الشافعي، وفرض النتيجة التي وصل إليها من دراسة الكتب المذكورة على كافة كتب الحديث، مع أنه يدرك تماما أن هناك فرقا جوهريا بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث[٢].

اتهامهم الصحابة والمحدثين بوضع الأحاديث:

يقول شاخت: بموت النبي ﷺ انتهى بالطبع التشريع الذي كان يقوم على التنزيل أو على حجية النبوة. وكان من الطبيعي أن يحاول الخلفاء الأول

---

(١) Ibn Ishaq's use of bull. John Ryland. Library. Vol. 38 No. 2.P.451. (استعمال إسحاق للإسناد).

(٢) The Origins. Chapter 4. PP. 163-175.

السير بالأمة الإسلامية على سنة منشئها . . . إلى أن قال : انتهى بهم الأمر إلى التوسع في تأويلها توسعا خرج بها عن معناها الأصلي ، وربما كان سببا في ظهور أحاديث جديدة .

وقال : ربما صحَّ تاريخيا ما تقوله الروايات من أن أبا بكر كان يحتذي حذو النبي ﷺ في هذا الأمر . بينما كان عمر أكثر ميلا إلى التعديل والتغيير[١] .

وقال : أما حركة المحدثين . . . في القرن الثاني ، فهي في الواقع نتيجة طبيعية لاستمرار حركة المعارضة للمدارس الفقهية القديمة ، والتي كانت متأثرة بالدين والأخلاق . والفكرة الرئيسية التي كانت عند المحدثين هي أن الأحاديث المأخوذة عن النبي ﷺ يجب أن تغلب على سُنن المدارس الفقهية . ولهذا الغرض اخترع المحدثون بيانات مفصلة أو أحاديث وادعوا أنها من مرئيات أو مسموعات أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، وأنها وصلت إلينا شفهيا بأسانيد غير منقطعة وعن طريق رواة موثوقين . ومن الصعوبة بمكان أن نعتبر أي حديث منها خاصة فيما يتعلق بالأحاديث الفقهية صحيحا موثوقا به[٢] .

وقال ميور : بعد أن توفي محمد (ﷺ) كانت الحرب هي الشغل الشاغل لأتباعه وكانت الفترات بين حرب وأخرى من أهم أسباب الكآبة والسآمة عند أولئك القوم . ورأوا أن الحديث عن الماضي هو العلاج الناجح للقضاء على البطالة .

ولم يكن لديهم شيء لهذا الغرض أحلى من أقوال وأفعال ذلك الشخص الذي جعل منهم قوما فاتحا للبلاد وأعطاهم مفاتيح خزائن الدين والدنيا فكان جُلُّ كلامهم يدور حول شخصية محمد . ومن هنا وجدت المواد التي ساعدت

---

(١) أصول الفقه لشاخت صـ٥٥ ـ ٥٦ وتعريف الشريعة الإسلامية له . صـ٣٤ .

(٢) An introduction to Islamic Law. Chap. 6. p.34.
وانظر كذلك الدراسات للدكتور الأعظمي صـ٤٤٢

على ازدهار(الحديث)[١].

ادعاؤهم بأن الموضوعات اختلطت بالصحاح ولم يمكن التمييز بينها :

يقول جولد زيهر : ولا نستطيع أن نغزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها. بل هناك أحاديث عليها طابع القدم. وهذه إما قالها الرسول ﷺ أو من عمل رجال الإسلام[٢].

ويقول : اعترف كثير من الأتقياء، عند وفاتهم بلا تردد، عما لهم من فضل في وضع أحاديث كثيرة، وربما كانوا لا يرون في هذا أمرا لا يتفق والاستقامة متى كان الواضع يقصد إلى غايات طيبة[٣].

ويقول : إن التوجيه الرسمي والنشاط الحكومي لوضع الأحاديث يرجع إلى فترة مبكرة جدا من تاريخ الإسلام. ونجد صداه في وصية معاوية للمغيرة، إن يشجب عليا وأتباعه ويبعدهم ولا يسمع لهم، كمصدر للأحاديث. والثناء الدائم على عثمان وأتباعه وأن يكون على صلة قريبة منهم والسماع إليهم، كمصدر للأحاديث.

ويقول : كانت هذه التوصية بمثابة منشور رسمي لوضع الأحاديث[٤].

ويقول ميور وغليوم : إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطاً لم يمكن بعده التمييز بينها، وأن الآلاف بل آلاف الآلاف من الأحاديث التي راجت في أوقاتها لم يكن عليها مسح من الأصالة والصحة.

ويقول : ويمكننا أن نمثل بالبخاري الذي اختار أربعة آلاف حديث من

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية صـ١٥٦ مأخوذ من كتاب: حياة محمد لميور Life of Mohammed: Muir.

(٢) العقيدة والشريعة صـ٤١.

(٣) المصدر نفسه صـ٤٦.

(٤) الدراسات الإسلامية جـ٢ صـ٤٤. Muslim Studies Vol.2.PP.44

ستمائة ألف حديث. وهذا دليل كاف على وجود عدد هائل من الأحاديث الموضوعة مختلطة بالأحاديث الصحيحة[١].

يقول جولد زيهر: إن الطريق الذي اختاره المحدثون الصالحون لمواجهة فتنة الوضع في الحديث إنه لطريق يثير الإعجاب في تاريخ الأدب. وذلك أنهم بدأوا يضعون الحديث ويدرجون في الأحاديث كلمات وجملا تشير إلى العذاب الشديد الذي ينتظر أولئك الوضاعين.

وقال: إن حديث: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والأحاديث الأخرى التي وردت في هذا المعنى كلها موضوعة وضعها المحدثون لمواجهة فتنة وضع الحديث[٢].

هذه النقول تعطي فكرة واضحة عما كان يحمل المستشرقون من التصور الإجرامي عن الصحابة ومن بعدهم من العلماء الأجلاّء، كما أنه تفيد عن تغرّضهم ضد الإسلام في كل ما كتبوا عنه. فهم يتجاهلون الجهود العظيمة التي بذلت بواسطة الأئمة المحدثين للتمييز بين الصحيح والموضوع، حتى لم يبق حديث إلا وقد قيل فيه الرأي الواضح الصريح. عند الإطلاع على هذه الأقوال وأمثالها الكثيرة الموجودة في كتب المستشرقين، يجد القارىء المسلم نفسه أمام المزاعم الباطلة التالية:

١ ـ أن السنة أكاذيب وخرافات جمعها محمد ﷺ من عادات القوم وأضاف عليها من التعاليم الموجودة في التوراة والإنجيل.

٢ ـ أن الصحابة ومن جاؤا بعدهم من التابعين والأئمة المحدثين عصابة كذب وبهت وزور ودجل، ولم تكن عليهم مسحة من الصدق والشرف، فاختلقوا من الأكاذيب والأباطيل ما سوّلته لهم أنفسهم كما اختلقوا الأسانيد الصحاح

---

(١) لمحات من الحديث النبوي صـ٥٢ . . GLIMPSES OF THE HADITH PP.52.

(٢) دراسات إسلامية لجولدزيهر جـ٢ صـ١٣٢، ١٣٣ . . Muslim studies.V.2 Ch. 2p. 132,133.

وربطوا بعضها بالبعض ونسبوها إلى رسولهم ونبيهم الذي هو بنفسه مدعى النبوة ونزول الوحي زورا وبهتانا على الله .

٣ ـ وأن الأحاديث السارية السائرة في المجتمع الإسلامي ، منذ أن بعث الرسول ﷺ ، والأحاديث المجموعة في صحيحي البخاري ومسلم ، والمجموعات الحديثية الأخرى إن هي إلا أكاذيب وأباطيل .

هذه هي الصورة التي تظهر أمام القارىء المسلم عندما يقرأ أقوال المستشرقين المذكورة وغيرها الكثيرة المنتشرة في كتبهم التي ألفوها ضد الإسلام .

فهل يا ترى يشك مسلم في سوء نوايا هؤلاء المستشرقين ، وهل يحتاج مسلم عاقل إلى ردٍّ على هذه الأقوال التي تُنبىء بخبثهم ودناءتهم وعداوتهم الصريحة الواضحة للإسلام وكل ما يمت إليه بصلة .

المسلم يؤمن برسالة محمد ﷺ ويؤمن بالوظيفة الحقيقية له ﷺ . وهي أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيِّبات ويحرِّم عليهم الخبائث .

كما أنه يعتقد في عدالة الصحابة . قال تعالى عنهم (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ويعتقد أن المحدثين كانوا أمناء هذه الأمة . عملوا المستحيلات لحفظ السنة النبوية . بعد هذا الإعتقاد الجازم الشائع في الأمة الإسلامية ، لا أشكُّ في أن عقلاء المسلمين ومخلصيهم لدينهم سيلفظون هذه الإدعاءات ويحتقرونها احتقارا ليس بعده احتقار .

إن المحدثين اعترفوا بوجود فتنة الوضع في الأحاديث النبوية لأغراض وأهداف ذكرتها في الفصل الثالث من الباب الثاني .

ولكن الجهود التي بُذلت في سبيل القضاء على هذه الفتنة وتمييز الأكاذيب والأباطيل من الأحاديث الصحيحة ، والأصول والقواعد التي روعيت في هذا الصدد ، والدقة واليقظة والإنتباه والتجزية التي كانت دأب المحدثين ، والأسفار المضنية ومتاعب التحقيق والتنقيح التي تحملها النقاد ، كانت أعظم وأضخم بكثير من الفتنة ولا يوجد لها مثيل في عالم الثقافة ، حتى اضطر بعض المستشرقين

ـ رغم أنفهم ـ أن يعترفوا بهذا كله، فلقد اعترف البروفيسور نيكولسون بقول ابن قتيبة: أن ليس لأمةٍ سنّة مثل سنّتنا[١].

١ ـ المحدثون اشترطوا في الراوي أن يكون قوي الذاكرة، صاحب الفهم الثاقب، ضابطا لكل ما يسمع ويروي.

٢ ـ وضعوا علم الجرح والتعديل.

٣ ـ اهتموا بأسماء الرجال، وبيّنوا فيها حال كل راو، وأعلنوا أسماء الكذابين والوضاعين على رؤوس الأشهاد من دون أن يخافوا في الله لومة لائم.

٤ ـ نظروا في كل حديث بالدقة والعمق، وحللوا كل لفظ وكلمة وقارنوا بين الأحاديث.

٥ ـ أصلوا أصولا وقعدوا قواعد لإختيار الأسانيد والمتون.

٦ ـ جمعوا الموضوعات في مؤلفات خاصة.

٧ ـ ميّزوا المدرجات في الأحاديث.

٨ ـ التزموا بهذه القواعد والأصول بكل شدة، وفي كل مرحلة من مراحل النقد، حتى أصبحت الأحاديث الصحيحة واضحة المعالم ناصعة الوجود، كما أن الموضوعات حُصرت ودُوِّنت في الكتب، حتى لا يغتر مغتر ولا يندس موضوع بين الصحاح[٢].

فإذا جاء مفترٍ بعد هذا وزعم كذبا وزورا أن الموضوعات اختلطت حتى أصبح من العسير التمييز بينها وبين الصحاح، فهل نقول عنه إلا أنّه مصاب بالهستريا أو الجنون يهذي بما يجري على لسانه، أو أنه عار عن الحياء لا يبالي بما يقول عنه العالم، فيقول ما يحلو له، عداوةً للإسلام وأهله. وصدق رسول الله ﷺ حيث

(١) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ ٧١ـ ٧٢.

(٢) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ ٨٤ـ ٩٠.

قال: «**إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت**»[١]. وهذا هو دأب المستشرقين كما رأينا.

بقي أن نقول كلمة عما زعمه المستشرق ميور:

أن الأحاديث وليدة المحادثات بين أصحاب محمد في فترات الحروب.

المستشرق ميور معرف بعدائه ضد الإسلام، وقد ردَّ عليه المسلمون، وليس هذا مجال منا قشته فيما قاله عن العرب وأصحاب الرسول ﷺ فإن التاريخ المسيحي نفسه شاهد عدل على عدالة المسلمين وجور الحكام المسيحين وانغماسهم في الفسق والفجور.

إن اهتمام أصحاب الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله ـ وهم في ميادين الحرب ـ لدليل على حرصهم الشديد على حفظ السنة. وإن كان هذا الأمر ليس مؤيدا بالواقع، فإن الأصحاب الذين انشغلوا بالجهاد أكثرهم من الذين لم يرووا الأحاديث إلا نادرا، وكثير منهم من المقلين. وأما الذين اشتهروا بالرواية وحفظ الأحاديث وكتابتها لم يكونوا من المعروفين في ميادين الجهاد مثل أبي هريرة وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وأنس وأبي سعيد الخدري (من المكثرين) ومثل علي بن أبي طالب وعمر الفاروق (من المتوسطين) وأبي بكر وعثمان (من المقلين) فإن هؤلاء لم يشتركوا في الحروب بعد وفاة الرسول ﷺ[٢].

أما قوله: إن البخاري اختار أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث، وهذا دليل كاف على وجود عدد هائل من الموضوعات مختلطة بالأحاديث الصحيحة.

فأقول: إن المحدثين درسوا هذا الموضوع وبيَّنوا سبب اختياره الأربعة آلاف حديث من بين الستمائة ألف حديث. وهو أن كل سند للحديث كان يعد عند المحدثين حديثا مستقلا قائما بذاته. فالحديث المروي بخمسمائة سند،

---

(١) البخاري/ الأنبياء/ ٣٢٩٦.

(٢) تاريخ الحديث بالأردية صـ١٥٦ وما بعدها.

يعتبر خمسمائة حديث وليس حديثا واحدا. فالبخاري مثلا اختار سندا واحدا من الخمسمائة سند، على أنه حديث واحد. ويمكن أن يوضح بمثال آخر، وهو أن أبا هريرة (مثلا) كان له ثمان مائة تلميذ، فروى لهم حديثا سمعه منه كل منهم، ثم رواه كل منهم بسنده إلى أبي هريرة، فصار ثمانمائة حديث. بينما هو حديث واحد في واقع الأمر[١].

أما قول جولد زيهر: إن حديث: «**إن من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»والأحاديث الأخرى التي وردت في هذا المعنى كلها موضوعة وضعها المحدثون لمواجهة الفتنة.

فالواقع أن زعم زيهر هذا موضوع شيق لعلماء النفس، حتى يعرفوا مدى ما كان هذا اليهودي يُبطن في قلبه من الشر لهذا الدين العظيم. فإنه لم يستطع أن يقيم أي دليل على دعواه.

وقد رد عليه اسبرنجر وقال: لا يمكن أن يشك في صحة هذا الحديث لأنه ورد بطرق صحيحة ثابته. وكذلك الأحاديث الأخرى في معناه وردت بطرق كثيرة لا مجال للشبهة فيها[٢].

والغريب أن زيهر نفسه اعترف بأن هذا الحديث وما في معناه مروي من ثمانين طريقاً، وسند بعضها يصل إلى عثمان بن عفان وكبار الصحابة الآخرين[٣].

---

(١) راجع تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ٩٠ ـ ٩١.

(٢) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ٩٣ مأخوذ من: JOURNAL OF GENERAL ASIATIC SOXIETY. BENGAL. 1860 CALCUTTA.

(٣) دراسات إسلامية له جـ٢ صـ١٣٢ ـ ١٣٣ . Muslim studies v.2.P.132,133. وانظر لزاماً ما كتبته حول هذا الحديث وطرق روايته حيث بلغ حد التواتر، في مدخل الكتاب تحت الرقم (٤).

الباب الثالث / الفصل الثاني

مزاعم المنحرفين والردُّ عليها:

المنتسبون إلى الإسلام وإنكارهم للسنة .

الفتنة في شبه القارة الهندية الباكستانية .

الفتنة في البلاد العربية .

الفتنة في شبه القارة أقوى .

نشأة فكرة أهل القرآن .

دور شراغ علي في ترسيخ أسس الفكرة .

تأسيس جماعة أهل القرآن .

الإستعمار هو السبب لوجود الحركة .

الشُبَه التي أثارها أهل القرآن حول السنة .

الفِرَقُ الموجودة حاليا في باكستان .

علماء السنة يتصدُّون للفتنة .

بعض الكتب بالأردية التي كشفت عوار الفتنة .

المنتسبون إلى الإسلام وإنكارهم للسنة:

١ ـ إن فتنة إنكار السنة بين المنتسبين إلى الإسلام بدأت في القرن الثاني الهجري عن طريق الخوارج والمعتزلة.

الخوارج أثاروا هذه الفتنة، لأن السنة كانت تعرقل سيرهم نحو نشر الفساد في المجتمع الإسلامي، ولأن نظرياتهم المتطرفة لم تكن لتنتشر في المجتمع الإسلامي الذي كان مؤسسا على السنة المحمدية.

والمعتزلة أثاروا الفتنة: لأن الشُبَه التي وُجِدت في أذهان الكثير نتيجة لطغيان الفلسفة اليونانية والعجمية، أرادوا أن يزيلوها بأي طريق كان، قبل أن يفهموها جيدا، وقبل أن يستوعبوا في نظرياتها. وظنوا أن كل ما هو قادم من جهة الفلسفة موافق للعقل، وأنه يجب أن تكون العقائد الإسلامية وأصولها وفقا لتلك النظريات. فوجدوا السنة تمنعهم من هذا وتعرقل سيرهم. فأنكروها وشككوا في صحتها.

وقد ماتت الفتنتان بعد مدة أعني بنهاية القرن الثالث:

أ ـ لجهود المحدثين العملية التي أثبتت أنه لا مجال للشك في حجية السنة أو صحَّتها.

ب ـ وتصريحات القرآن الكريم التي أثبت بها أهل العلم أن الرسول ﷺ ليس مجرد ساعي بريد، بل هو شارح للقرآن الكريم ومبين للأحكام فيه.

جـ ـ ومن أجل تأويلات الفئتين المضحكة للقرآن الكريم، وانكشاف الحقيقة أمام عامة المسلمين أن القرآن إذا فُصِل عن السنة وبيانها، مُسخ الدين وشرائعه.

د ـ وليقظة ضمير الأمة الإسلامية الذي رفض فكرة التحرر عن طاعة الرسول ﷺ.

وقد ظلت الفتنة مقبورة، حتى أحياها من جديد أناس في البلدان العربية وأشخاص في شبه القارة الهندية.

أحياها في الهند :

السير سيد أحمد خان والمولوي شراغ علي . ثم حمل لواءها المولوي عبدالله جكر الوي ومن بعده المولوي أحمدالدين الأمر تسري ثم تقدم بها مولانا أسلم جيراج بوري .

وأخيرا تسلم رئاستها شودري غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى حافة الضلال[1] .

وأثار هذه الفتنة في البلاد العربية :

توفيق صدقي ، إذ نُشر له مقالان في مجلة المنار في العددين ٧ ، ١٢ من السنة التاسعة ، أعلن فيهما رأيه تحت عنوان (الإسلام هو القرآن وحده) وأحمد أمين الذي حمل على السنة النبوية وانتقد أصول نقدها في كتابية : فجر الإسلام وضحى الإسلام . وإسماعيل أدهم في عام ١٣٥٣ هـ .

ثم جاء أبو رية الذي تسلَّم اللواء ونشر نتيجة بحثه في كتابه : أضواء على السنة المحمدية .

والعجيب في الأمر ، أن أسباب إحيائها من جديد ، كانت نفس الأسباب التي دعت الخوارج والمعتزلة إلى إنكار السنة ، أعني الإعجاب الشديد بالنظريات الأجنبية عن الإسلام ومحاولة صياغة الإسلام صياغة توافق تلك النظريات الدخلية .

وكان الاستشراق له دور عظيم في تكوينهم ، كما تبين لنا مما ذكر عن المستشرقين وأهدافهم ووسائلهم لبث الشبهات حول السنة . ولذلك نجد أن مصادر هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام هي نفس المؤلفات التي أعدها المستشرقون

---

(١) راجع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للداعية الكبير الدكتور السباعي رحمه الله ، فإنه من أقدم من كتب في هذا ، ومكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ المودودي رحمه الله بالأردية / المقدمة .

لمحاربة السنة النبوية . فهم نقلوها إلى اللغات الإسلامية وزادوا عليها الأمثلة . وتباكوا أمام المسلمين وقالوا لهم إنكم إذا أردتم أن تصونوا الإسلام من الذل والهون فعليكم أن تقضوا على هذه الكتب التي تحتوي على ما يسمى بالسنَّة .

الفتنة في شبه القارة الهندية أقوى :

كما قلت آنفاً إنَّه ظهر في البلدان العربية أشخاص أثاروا الفتنة من وقت لآخر ولكنها أصبحت مؤامرة محبوكة في شبه القارة الهندية واتخذت طابع جماعة منظمة منذ أوائل هذا القرن .

نشأة فكرة أهل القرآن:

يقول شيخ الإسلام ثناء الله الأمرتسري : ما أشأم ذلك اليوم الذي ظهر فيه صوت عليكره المناوىء لجميع الأمة الإسلامية والداعي إلى الإعتماد على القرآن وحده في الدين ، والقائل بأن السنة لا تكون دليلا شرعيا .

وكان لهذا الصوت المشؤم تأثير عظيم على الحافظ محب الحق العظيم أبادي في مدينة بتنة بالهند . وعلى عبدالله جكرالوي في مدينة لاهور (باكستان)[١] .

وهذا الصوت هو صوت سيد أحمد خان : الذي ولد في دلهي عام ١٨١٧م وهلك عام ١٨٩٧م .

قال عنه صاحب نزهة الخواطر : كان سامحه الله قليل العمل لا يصلِّي ولا يصوم غالبا[٢] .

١ ـ بدأ أحمد خان بالتأويل في الغيبيات الواردة في أحاديث الرسول ﷺ[٣] .

٢ ـ ثم تدرج إلى إنكار السنة[٤] .

---

(١) مجلة أهل الحديث (بالأردية (صـ٣ عدد مارس ١٩٣٣م .

(٢) نزهة الخواطر جـ٨ صـ٣٠ .

(٣) مقالات جـ١ صـ١٢٨ .

(٤) مقالات جـ١ صـ٢٥٧ .

٣ ـ أنكر الأمور الخارقة للعادة، الواردة في السنة بحجة أنها مخالفة للقوانين الطبيعية والخلف غير وارد في القوانين الطبيعية[١].

٤ ـ أنكر أحاديث الجن[٢].

٥ ـ حاول التشكيك في السنة كلها، إذ قال: إن البُعد الزمني بين وفاة الرسول ﷺ وبين تدوين الأحاديث يفتح الباب على مصراعيه ليدخل إليها ما ليس منها[٣].

٦ ـ إنّ ما دُوِّن في مؤلفات الأحاديث، هي ألفاظ الرواة، وليس ما صدر من الرسول ﷺ[٤].

٧ ـ عاتب المحدثين على أنهم لم يفحصوا متون السنة مثل السند. وقال إن مساعي المحدثين لم تتجاوز توثيق الرواة أو جرحهم، بعد أن مضى على وفاتهم زمن طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم. بحيث يكون هو العمدة في قبول الحديث ورده، فإن لم يكن هذا الأمر مستحيلا، فلا يخلو أن يكون في غاية الصعوبة[٥].

وعلى هذا المنوال جاء أحمد خان بشبه أخرى، وأثارها في كتبه ليخدع به عامة المسلمين وليجلب إلى تأييد قوله من في قلبه دغل أو دخل ضد الإسلام.

دور شراغ في ترسيخ أسس الفكرة:

وقد وجد أحمد خان في شخصية (المولوي شراغ على)[٦] أكبر من يدافع

---

(١) المصدر نفسه جـ١ صـ٣٢.
(٢) المصدر نفسه جـ١ صـ١٨١.
(٣) المصدر نفسه جـ١ صـ٢٣.
(٤) المصدر نفسه جـ١ صـ٤٩.
(٥) مقالات جـ١ صـ٤٩.
(٦) ولد سنة ١٨٤٤ وهلك في ١٥ يونيو ١٨٩٥م.

عن فكرته ويدعوا إليها. وهو الذي أوّل كلمة الجهاد وطعن في الأحاديث التي تحث على الجهاد[١].

وهو الذي قال: إن الأحاديث لم يصح منها إلا القليل، وجُلُّها فرضيات وأوهام للعلماء[٢].

وقال: إن معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة إليها لتمييز الحديث صحيحه من سقيمه، لأن الحديث في حَدِّ ذاته، شيء لا يمكن الإعتماد عليه[٣].

تأسيس جماعة أهل القرآن:

الأفكار التي نشرها السيد أحمد خان وشراغ على من بعده، كان لها الدور البارز في تأسيس حركة أهل القرآن. فالذين جاؤا من بعدهما تبنّوا أفكارهما ودعوا الناس إليها.

ففي سنة ١٩٠٢م برز عبدالله الجكرالوي، وبدأ نشاطه الهدام لإنكار السنة كلها، وفي نفس الفترة ظهرت شخصية أخرى في شمال شرقي الهند ألا وهو محب الحق العظيم آبادي، وشارك مع عبدالله الجكرالوي في تأسيس الحركة.

الاستعمار هو السبب لوجود الحركة:

ولا يخفى على من لديه إلمام بمؤامرات الاستعمار الإنجليزي في البلدان الإسلامية، أنه كلما دخل بلدا إسلاميا سعى للتفريق بين المسلمين واتخذ جميع السُبل الممكنة لهذا الغرض. ومن سوء مما وجدت في البلدان الإسلامية الأخرى. ففيها وُجدت القاديانية التي ظهر للعالم كله سوء طويتها وهدفها الخفي وهو

---

(١) تحقيق الجهاد صـ١٨٥، ٢٢١

(٢) تحقيق الجهاد صـ١٢١.

(٣) أعظم الكلام جـ١ صـ٢٠.

التفريق بين المسلمين.

والبريلوية التي لم تكن إلا غرسا للاستعمار، ولم تخلف أهدافها من الفتنة التي سبق ذكرها[١].

ثم أوجد الاستعمار فرقة أهل القرآن ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغربية عن الإسلام. وقد اختار الاستعمار منهم أفراداً وجد فيهم الإنحراف عن الدين والتحلل عن المثل العليا، ليكونوا عملاء ينشرون هذه الأفكار بين المسلمين ويخدمون الأهداف المشبوهة للاستعمار.

ويمكن أن نمثل لهذا بالسير سيد أحمد خان الذي لقبه الإنجليز (بنجم الهند) ولقبوا نذير أحمد أحد أعضاء حركة أهل القرآن (بشمس العلماء). وكذلك عبدالله جكرالوي وأمثاله الذين ربّاهم الانجليز لخدمة أهدافهم حظوا بحظوظ وافرة دنيويه من الإنجليز.

الشُبَه التي أثارها أهل القرآن حول السنة:

أما الشُبه التي أثارها منكرو السنة في شبه القارة الهندية، فإنها كلها مأخوذة من كتب المعتزلة والمستشرقين. وهي تدور حول:

١ ـ عدم كتابة الحديث في عصر الرسول ﷺ، ولا في عصر الخلفاء الأربعة.

٢ ـ إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي ﷺ عن كتابة سننه لذلك نهوا عن كتابتها.

٣ ـ إن الأحاديث جُمعت أول مرة بعد مائة سنة من وفاة الرسول ﷺ. وقد فقدت تلك المجموعات ثم جمعت من أفواه الناس في القرن الثالث.

٤ ـ إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطا لا يمكن

---

(١) انظر كتابَي «القاديانية» و«البريلوية» للعلامة إحسان إلهي ظهير. صدرت طبعات كثيرة للكتاب الأول. وأما الثاني فقد صدر حديثا بمدينة الرياض.

بعده التمييز بين الصحيح والموضوع .

٥ ـ إن المعايير التي اختارها المحدثون لنقد الحديث لم تكن كافية لمعرفة الصحيح من المغشوش ، لأنها كلها تدور حول نقد السند ورجاله ، أما المتن فلم يحظى باهتمام المحدثين[١] .

هذه هي الشبه التي يثيرها منكرو السنة في أساليب مختلطة ويصوغونها في عبارات متنوعة في كل مكان .

وقد ردَّ عليها علماء السنة وألفوا عنها مؤلفات أشبعت الموضوع بحثا وتمحيصا وأثبتوا بأدلة واضحة وبراهين صريحة أن هذه الشبه ليست إلا نثر غبار في وجه الشمس وأنها لا تمت إلى الصدق والصحة بأية صلة .

وهذا بالإضافة إلى الكتب الجامعة التي صدرت في البلدان العربية ردا على هذه الشبه .

وسيأتي ذكر الكتب والمجلات التي اختصت بالرد على منكري السنة في البلاد الهندية . أما شبهة عدم اهتمام المحدثين بنقد المتن . (وهي التي اختص هذا الباب بالردِّ عليها) فقد بذلت جهدي المتواضع للردِّ عليها في بداية الباب الثاني . وسوف أتطرَّق لأقوال المنتسبين إلى الإسلام حول هذه الشبهة . ومنهم أولئك الذين أثاروا هذه الفتنة في شبه القارة الهندية وعند ذلك أرد على أقوالهم حسب الحال إن شاء الله .

الفتنة في هذه الأيام:

يبدو أن زعماء الفتنة بعد وجود باكستان انحصروا إلى المدن الباكستانية

---

(١) راجع مكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ المودودي صـ٣٤٢ ومؤلفات منكري السنة : مقام حديث لغلام أحمد برويز وبلاغ الحق وشاهكار رسالة ودواسلام لغلام جيلاني برق ومجلة إشاعة القرآن (جميع هذه الكتب بالأردية) .

وجعلوا من مدينة لاهور بالذات مركزا لنشاطاتهم وحركاتهم، وإن كانت الفلول الخاسرة بقيت في الهند.

وفيما يلي بيان الفرق الموجودة حاليا في باكستان[١].

١ ـ فرقة أهل الذكر والقرآن:

يرأسها في الوقت الحاضر: محمد علي رسول لكوي. وهي البقية الباقية من أصل فرقة عبدالله الجكرالوي، مؤسس جماعة أهل القرآن، ولها مركز متعددة في مدن باكستان، ولها مجلة تصدر في لاهور باسم (بلاغ القرآن) تنقل أفكار الفرقة إلى أتباعهم في أنحاء باكستان.

٢ ـ فرقة الأمة المسلمة:

وضع أسسها الخواجة أحمدالدين في أمرتسر بالهند. ثم انتقلت الفرقة إلى لاهور بعد وجود باكستان ١٩٤٧ م. وقد أصيبت بالخلاف بين أعضائها وكادت أن تنعدم، حتى شعر بعض أعضائها المخلصين في الآونة الأخيرة بضرورة إحياء الجماعة من جديد، فوضعوا الخطط اللازمة للعمل وأخذوا يتحركون من جديد. وتعتبر مجلة (فيض إسلام) ممثلة لوجهات نظر هذه الفئة. ولهم اجتماعات أسبوعية في مقرها الرئيسي بلاهور.

٣ ـ حركة تعمير البشرية (تحريك تعمير انسانيت):

فرقة حديثة العهد، إذ وُجدت قبل ثلاث أو أربع سنوات فقط. يرأسها

---

(١) انظر كتاب، فرقة أهل القرآن للشيخ خادم حسين. فقد بذل سعيا مشكورا لإبراز حقائق الفرق الموجودة حاليا في باكستان الداعية إلى إنكار السنة.

ويمولها المدعو/ عبدالخالق مالوه. ومن أنشط وأبرز أعضائها، القاضي كفاية الله الشاب المتحمِّس لهذه الدعوة، يجيد اللغات العربية والأردية والانجليزية كتابة، ويؤلف الكتب في تأييد الحركة والدعوة إليها. ومركز هذه الفتنة أيضا مدينة لاهور.

٤ ـ (فرقة طلوع إسلام):

أنشط فرق أهل القرآن الموجودة في هذه الأيام، وقد خف نشاطها من عهدها السابق بسبب فتوى الكفر التي أصدرها العلماء عن أفكار مؤسسها. قام بتأسيسها غلام أحمد برويز في الهند. ثم انتقل إلى باكستان بعد وجودها.
ولها فروع في كل مدينة من مدن باكستان. ولها فروع أيضا في المدن الأوروبية تتولى الدعوة إلى الأفكار التي يقدمها مؤسسها المدعو برويز المذكور.

ولها نفوذ في صفوف المثقفين، ولاسيما بين أولئك الذين يرغبون البقاء تحت الدوحة الإسلامية مع تلبية رغباتهم الجامحة!.

ولها مجلة ناطقة باسمها وهي مجلة (طلوع إسلام) تنشر أفكار الفئة منذ بضع وأربعين سنة. ومركزها الرئيسي: مدينة لاهور.

ويقال: إن أتباعها يبلغون بضعة ملايين شخص. وقد يكون هذا العدد مبالغا فيه. ويُعتبر برويز أكثر أهل القرآن كتابة وتأليفا. فقد تجاوزت مؤلفاته الثلاثين كتابا. وبعضها في ثلاث أو أربع مجلدات، بالإضافة إلى المقالات والرسائل الصغيرة التي صدرت له حتى الآن.

وفي سنة ١٩٦١م أجرى المسؤلون في المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي استفتاء عاما، أرسلوه إلى العلماء في باكستان والهند وبلاد الشام والحجاز ذكروا فيه أفكار برويز، وطلبوا حكم الإسلام فيمن يحملها. فأفتى أكثر من ألف عالم بكفر صاحبها وخروجه عن الإسلام.

علماء السنة يتصدون للفتنة:

ولقد كان علماء السنة في المرصاد لهذه الفتنة الجديدة بين المسلمين في البلاد الهندية منذ أن وُجدت، فخطبوا في المساجد وبينوا للمسلمين حقيقة هذه الفئة ونشروا في الجرائد والمجلات وألفوا كتبا في الرد على هذه المزاعم.

ومن أشهر أولئك العلماء: الشيخ عبدالله البتالوي، الذي وقف مجلته: (إشاعة السنة) للرد على هذه الفئة. وهو الذي جمع الأفكار الشاذة لهذه الفئة. وأجرى استفتاءاً عاماً حولها، وطلب من العلماء بيان موقف الإسلام فيها، فأفتى العلماء بكفر عبدالله جكروالوي. ونشرت مجلة إشاعة السنة عشرات التوقيعات لعلماء الإسلام الذين صادقوا على الفتوى المذكورة.

والشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله الذي نشر عشرات المقالات في (مجلة أهل الحديث) الصادرة في أمرتسر رداً على هذه الفئة وأفكارها.

وفيما يلي ذكر بعض المجلات والكتب (بالأردية) التي تصدت للفتنة وكشف عوارها:

١ ـ مكانة الحديث في الأحكام الشرعية للشيخ محمد إسماعيل السلفي.
٢ ـ مكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ أبو الأعلى المودودي.
٣ ـ تفهيم الإسلام للشيخ مسعود أحمد.
٤ ـ حجية الحديث واتباع الرسول للشيخ ثناء الله الأمرتسري.
٥ ـ حجية الحديث للشيخ محمد ادريس الكاندهلوي.
٦ ـ نصرة الحديث للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
٧ ـ تدوين الحديث للشيخ مناظر أحسن جيلاني.
٨ ـ تاريخ تدوين الحديث للدكتور محمد زبير الصديقي.
٩ ـ مظاهر وخلفيات فتنة إنكار الحديث للشيخ افتخار أحمد.

١٠ ـ إنكار السنة فتنة ومؤامرة بروفيسور محمد عرفان .
١١ ـ القول الفيصل ماهر القادري .
١٢ ـ القرآن والحديث للشيخ محمد طيب .
١٣ ـ نظرة عابرة على فتنة إنكار الحديث للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي .
١٤ ـ حديث الرسول ﷺ في ميزان القرآن للشيخ محمد طيب .
١٥ ـ نتائج إنكار السنة للشيخ محمد سرفراز خان .
١٦ ـ إنكار السنة ، حق أو باطل للشيخ صفى الرحمن الأعظمي .
١٧ ـ ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ ثناء الله الأمرتسري .
١٨ ـ مجلة أهل الحديث ، أمرتسر للشيخ ثناء الله الأمرتسري .
١٩ ـ مجلة الإعتصام ، لاهور للشيخ عطاء الله حنيف .
٢٠ ـ مجلة إشاعة السنة للشيخ عبدالله البتالوي .

❋❋❋❋❋❋
❋❋❋❋

الباب الثالث

الفصل الأول / الفصل الثاني

مزاعم المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن:

المستشرق نيكولاس وزعمه الباطل .
السير وليم ميور وإدعاءاته .
المستشرق اسبرنجر وأقاويله .
جولدزيهر ووجهة نظره الخاطئة .
المستشرق الإيطالي كايتاني ورأيه .
شاخت وأكاذيبه .
كلام أحمد أمين عن نقد المتن .
كلام أبي رية عن نقد المتن .
أحمد زكي أبو شادي وافتراؤه .
إسماعيل أدهم وافتراؤه .
السير سيد أحمد خان ورأيه في نقد المتن .
شراغ علي ورأيه .
القاضي محمد شفيع وأفكاره .
الرد على زيهر وكايتاني وشاخت .
الرد على أحمد أمين .
الرد على أبي رية وأبي شادي إسماعيل أدهم .

مزاعم المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن

لعلِّي لا أغالي إذا قلت : إن المباحث التي تطرقت لها في مبحث نقد المتن عند بداية الباب الثالث، فيها الكفاية لإبراز مدى اهتمام المحدثين بنقد المتن. فقد أثبت هناك أن المضمون هو الذي كان يعني الأئمة النقاد من المحدثين. وقد وفيت الموضوع حقه حسب قدرتي وتطرقت لكل جزئية من الموضوع، بالإضافة إلى ما جئت به في المقصد الخامس من المدخل وهو بيان الخطوات التي سار عليها النقاد في النقد الحديث، فقد ذكرت فيه أن المحدثين اعتنوا بدراسة حال المروي تماما كما اعتنوا بدراسة حال الراوي. ولذلك حديثي عن شبهات المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن يكون لبيان أبرز المستشرقين ومنكري السنة من المنتسبين إلى الإسلام وكشف تواطئهم على الكذب ونقل هذه الشبه، بعضهم من البعض، من دون أن يراعوا الأمانة العلمية أو يراجعوا أنفسهم عند الإطلاع على الردود الدامغة من علماء السنة.

ثم أتطرق بحول الله وقوته لنماذج من الأحاديث التي زعموا نقدها متنا مع بيان جهلهم أو تجاهلهم للحقيقة، حتى يمكن للقارىء أن يقيس عليها الأحاديث الأخرى التي لا يسع المقام لذكرها كلها. ويتيقن في نفسه أن الإناء لا يترشح إلا بما فيه. فالكذاب والمخدوع لا يرجى منه إلا الكذب والخداع والزور والبهتان. فلننظر جميعا ماذا زعم المستشرقون عن نقد المتن.

١ ـ يقول نيكولاس، بي، أغناندس: NICOLAS P. AGHNIDES

في كتابه (النظريات المحمدية في الإقتصاد) باللغة الإنجليزية: إن المحدثين تجاهلوا تماما المحتوى، وأصبح جُلّ اهتمامهم باتصال السند إلى الرسول ﷺ، فالحديث الذي سنده متصل يعتبر صحيحا[١].

---

(١) انظر لمحات عن الحديث النبوي صـ٤٩، GLIMPSES OF THE HADITH.P.49,50.٥٠

قلت: هذا بعيد عن الصدق وخلاف للواقع: لأن نقد المحدثين شمل السند والمتن. وهذا هو المعقول، لأن كل حديث يشمل السند والمتن فكيف يعقل أن النصف يختبر والنصف الثاني لا يُنظر فيه. لا شك أن الجزء الأول كان ينظر إليه أولا، لأن السند إذا كان صحيحا، ولا يخاف من أحد رجاله الوضع في الحديث أو الكذب، فبطبيعة الحال يكون المتن صحيحا لأنه لو لم يكن صحيحا لما تحمل الراوي الثقة وزر رواية الأكاذيب. فالواقع أن كل راو نظر في السند نظر في المتن وتأكد من صحته قبل أن يرويه فتم النظر في المتن مرات عديدة قبل أن يدون في الكتب.

٢ ـ ويقول السير وليم ميور، في كتابه: (حياة محمد) بالإنجليزية لقد اتضحت لنا طرق النقد التي اتخذها المحدثون، والشدة التي جعلوها نصب أعينهم حتى أسقطوا ٩٩٪ من الأحاديث. ولكن الأوروبيين ينخدعون إذا ظنوا أن هذا النوع من النقد ـ رغم ما فيه من الشدة ـ كان كافيا لمعرفة حقيقة الأحاديث. إنهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولا مع اتصال السند إلى صحابي ولو كان المضمون يستبعده العقل. إنهم لم يخوضوا غمار النقد بحرية وشمول. بل أصبحوا متمسكين بتلك القاعدة الوحيدة، ولم يجرؤا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية[١].

ولا يخفى على من لديه إلمام بعلوم الحديث أن كلامه هذا دليل واضح على أنه لم يعرف من دراية الحديث شيئا، أو أنه تجاهل لإشباع هواه من التشكيك في السنة النبوية وليت لديه ولدي أتباعه عقولا منصفة حتى أُخبرهم أن الأصول الحديثية التي تعود إلى دراية الحديث أوصلها المحدثون إلى مائة وزيادة.

إن المحدثين راعوا في نقدهم للأحاديث تلك القواعد، بالإضافة إلى فحص السند، فإذا وجدوا الحديث مطابقا لتلك القواعد كلها قالوا عنه إنه صحيح،

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية صـ١٥٩ نقلاً من كتاب.LIFE OF MOHAMMED

وإن اختل شرط من الشروط حكموا عليه بما اصطلح عليه المحدثون لبيان حاله من الضعف أو الوضع أو غيرهما .

٣ ـ ويقول الدكتور اسبرنجر : (الأصول والقواعد التي راعها البخاري لا يمكن أن يسمى نقدا . إنه كان ينظر إلى سلسلة الرواة فقط ، فإن لم تكن منقطعة ، نظر في أحوال الرواة وسلوكهم) .

يقول : وكان له قاعدة أخرى وهي أنه كان يرد كل حديث لم يكن يوافق آراءه المتعصبة . فردُّه للأحاديث لا يعني أبدا أنه حديث غير صحيح . ولكنه يتميز بأنه لم يكن يقلد مذهبا معينا في الفقه ، بل كان يعتمد فقط على صحة الأحاديث المزعومة وعلى عدالة الرواة[١] .

وقد تجاهل اسبرنجر أصول الدراية التي كان المحدثون يلتزمونها . والإمام البخاري من أخص المحدثين الذين راعوا هذا الجانب في نقد الحديث واختياره قبل أن يدخله في الصحيح . وهو لم يقصد استيعاب جميع الأحاديث الصحيحة . وهذا معروف عند طلبة علم الحديث .

قال الحافظ الحازمي : وأما البخاري فلم يلتزم أن يُخرّج كل ما صح عنده من الحديث ، إنه قال : لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا ، وما تركت من الصحيح أكثر[٢] .

وقال : ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح . وتركت من الصحاح مخافة الطول[٣] .

٤ ـ وقال جولد زيهر : ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، التي تجد لها مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) شروط الأئمة الخمسة صـ٤٧ .
(٣) تدريب الراوي صـ٤٧ وفتح المغيث جـ١ صـ١٧ .

اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا[١].

٥ ـ ولعل أسبق من تصدى للإضافة في هذا الأمر، هو المستشرق الإيطالي (كايتاني) فقد عقد فصلا في الجزء الأول من كتابه (الحوليات الإسلامية) عنوانه (ملاحظات نقدية عن القيمة التاريخية لأقدم ما روي من السنة عن شئون الرسول).

وفيه قال: كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي: ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة، والمتن نفسه.

وقال: لكن إذا كان الإسناد كامل النظام محتويا أسماء حسنة، أُستبعد كل اشتباه وسوء ظن.

وقال: سبق أن قلنا: إن المحدثين والنقاد المسلمين لا يجسرون على الاندفاع في التحليل النقدي للسنة إلى ما وراء الإسناد، بل يمتنعون عن كل نقد للنص، إذ يرونه احتقاراً لمشهوري الصحبة وقحة ثقيلة الخطر على الكيان الإسلامي. . إذا كان الإسناد من الصحابي في النهاية حتى مؤلف المجموع الحديثي (بخاري ومسلم مثلا) كان الأساس قويا، وصار نص السنة قسما من النص الالهي، ولهذا لا يناقش، فإن كان الإسناد على غير نظام كان النص تقريبا كذلك، ولا يمكن اعتباره موثوقا به، ولذا فأيّ امتحان له غير مفيد من هذا الارتباك الغريب، ومن ذلك الخلط بين الإنساني يعني به السند ـ والإلهي ـ يريد به السنة المروية نشأت كل الأغلاط في السنة الإسلامية[٢].

---

(١) العقيدة والشريعة صـ٤١، ٤٢.

(٢) راجع تعليق الخولي علي أصول الفقه لشاخت صـ٦٥ ـ ٦٧ مأخوذ من كتاب: الحوليات الإسلامية لكايتاني ANNALI DELL'S ISLAM

٦ ـ **وقال شاخت** : وتخلصوا من المتناقضات التي ظهرت بالطبع في الحديث أكثر من ظهورها في القرآن بنفس الوسيلة التي اتبعوها في التخلص من المتناقضات التي وردت في القرآن . وكذلك بواسطة نقد الإسناد . ومن المهم أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه[١] .

مزاعم المنتسبين إلى الإسلام حول نقد المتن:

ومن المؤسف أن جماعة من المثقفين المسلمين نقلوا هذه الآراء عن أساتذتهم المستشرقين وتحمسوا لإذاعتها في بحوثهم ودراساتهم . وفي طليعة هؤلاء :

١ ـ **أحمد أمين** : فقد تحدث في كتابه (فجر الإسلام) عن الحديث والسنة ومزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل ، وحرّف حقائق الإسلام الثابتة وتحامل على جماعة من كبار الصحابة والتابعين .

وقال عند الكلام عن نقد المتن : وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها . ولكنهم (والحق يقال) عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيل فيها ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه بشروطه وقيوده بمتون الفقه ، ولن تظفر منهم في هذا الباب بعُشر من معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلّت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنّها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال[٢] .

وقال أيضا : وفي الحق إن المحدثين عنوا عناية تامة بالنقد الداخلي . . .

---

(١) انظر أصول الفقه لشاخت صـ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) فجر الإسلام صـ٢٦٧ ، ٢٦٨ .